الداخل.. ونهاراً قبل ليلاً».. في حين اننا نغرق في الظلام؟ فيا له من جهاد ورباط عظيم!!
وللأمانة، الحكومة تساهم مساهمات عظيمة في حل المشكلة. فاليوم بدلاً من مواتير توليد الكهرباء، تجد أن «البطاريات» احتلت الأسواق الغزية، وبأسعار في متناول أيدي الفقراء .. لذا، على من يريد الحصول عليها ان يقترض من البنك، أو أن يبيع بيته ليشتري بطارية!
شوارع مظلمة وطويلة، تتشابه على الناس. اتصلت مواطنة بأخيها: «مش قادرة أوصل عالبيت.. كني نسيت العنوان؟ تعال خدني من أول الطريق».
ليس الزهايمر، إنه الطريق إلى فقدان الذاكرة فقط. ليست أزمة بل بداية أزمات متراكمة. أمام كل محطة، تجد سيارات مصطفة لا أول لها ولا آخر، لتحصل على الوقود. طبعاً هذا حرص من الحكومة على قيام المواطنين بالرياضة!.
هذا الشتاء: علينا أن نصلي صلوات الحاجة.. لا الاستسقاء!

يوميات

«عربراين»

«أتشبث باللغة الإنجليزية في مطار فرانكفورت، رافضاً كل الرفض أن أتكلم العبرية مع من يكلمني في طابور طائرة لوفتهانزا المتجهة إلى تل أبيب»

فراس خوري

هنا ما زلت غريباً. تتطاير كلمات العبرية فوق رأسي من كل صوب، لا أسمعها، لا أريد أن أفهمها، لا أفهم العبرية خارج فلسطين. عندما أعود إلى فلسطين ستعود هي إليّ قسراً. حالياً لا أسمعها!
ألمان وإسرائيليون يركبون رياح الألب معاً، مخترقين مطبات هواء سواحل المتوسط، يحلّقون فوق بحر مليءٍ بغواصات حاملات رؤوساً نووية وغازاً طبيعياً ومستقبلاً مشعاً... في طريقهم إلى فلسطين. لوفتهانزا أيتها الأميرة الآرية «كل الهنا فيكِ جازاك الله».
تدور المضيفة الألمانية حاملةً قارورتي نبيذٍ. تهز معصميها الخفيفين، تتجاذب أطراف الكلام وتتبادل الضحكات مع شعب إسرائيل الحديث. جودي عليهم يا ساقية، أنسيهم همومهم بربك.
لا ضغينة هنا في هذا الممر الضيّق الذي يفصل الألمان عن الصهاينة في طائرة لوفتهانزا الألمانية المنطلقة من فرانكفورت، حيث قبل 70 عاماً أعلنت منطقة «يودنراين» (نظيفة من اليهود).
قد انتهت الحرب، واصطلحوا واتفق الجميع... عليّ أنا. اتفق الجميع على أنّه ينبغي للشعب الفلسطيني أن يدفع ثمن هذه المأساة. لذا، عليهم «تنظيف» فلسطين من العرب. اتفقوا على أني أنا الفلسطيني ابن القرية الجليلة عليّ أن أدفع ثمن ما اقترف هتلر وچيبلز هيملر وچرينچ.
أنا «ليلة البلور»، أنا «الجيتوهات»، أنا «الحل النهائي»، أنا معسكرات الاعتقال، أنا المحرقة بأمّ عينها، وحكمت في محكمة كافكا باللجوء الأبدي.

> لا أفهم العبرية خارج فلسطين. لا أريد فهمها

اجتمعوا في ممرٍّ ضيّق في تاريخي، استنبطوا الأساطير ورسموا حروفها فوق تاريخي وأجمعوا على أنني عدو الشعب اليهودي. تأتي إليّ وتسألني بواسطة بضع كلماتٍ عبرية تعلمتهما أخيراً أفرحتها ورسمت ابتسامة قط بلاد العجائب على وجهها الناضح بالجهل: «هل تريد نبيذاً سيدي؟».
أرفع رأسي، أضع قطعة خبزٍ في فمي. تنظر إلي، أمضغ قطعة الخبز، تنظر إلي لبضع لحظاتٍ أخرى. أبلع قطعة الخبز. تستمر في طريقها مخلّفةً رسم ثغرها الباسم وأسنانها المرصوفة في مخيلة كل من تمرّ بجانبه.
لا عليكم، سأحمل عنكم عبئكم التاريخي بينما تجلسون في عمق البحر معاً في غواصاتكم المريحة الآمنة. سأحمل عبئكم كي لا يبقى وقت أو طاقة لأنفض ذاكرتي الجماعية وأحييها.
أوقفوا هذه الطائرة، أريد أن أهبط في حقبة أستطيع أن أكتب فيها تاريخي المسلوب.
نهبط في تل أبيب، وتسرع المضيفة الألمانية لتعلن بالعبرية التي تنطلق من حنجرتها متقطعة، فلا تعرف أين تأخذ النفس بين حروف اللغة السامية: «وصلنا إلى إسرائيل وهبطنا بسلام في مطار بن غوريون. يوماً سعيداً». يضحك جميع الركاب فرحين غير مصدقين كعادتهم أن لهم دولة ولغة وكياناً. ضحك الإسرائيليون وفرح «الجرمان» جميعاً محيّين زميلتهم المجتهدة.
«أهلاً بك في إسرائيل»، تقول اللافتة الضخمة التي تستقبلك فور خروجك من الطائرة، وضعت أسفلها ثلاث أيقونات لتعريف إسرائيل:
«الصبر» هذا الذي تركه الفلاحون في طريقهم إلى الشمال، وما زال يغدق بثماره على المارة كل صيف، صابراً منتظراً عودة أصحابه. «البرتقال» هذا الذي ملأت به يافا العالم يوماً، حتى أصبح اسمه مقروناً باسمها في أصقاع المعمورة. «الفلافل»، هذا الطعام الذي تصنعه والدتك يوم تقرر «شطف» شبابيك البيت، فلا يكون معها متسعٌ من الوقت لتجهز طعام الغداء.
هبطنا في تل أبيب. باءت تمنياتي السماوية بالفشل. ما زلت رهن تاريخهم.

أولاد الذاكرة

الفنان الفلسطيني عماد الوهيبي يخصّ صفحة مخيّمات بسلسلة من الكاريكاتير، هنا، يعلّق الوهيبي على حصار مخيم اليرموك الذي أجبر الناس على اختراع خبز من العدس... يتبع

رسائل صبابة و حنظلة

من حكايات أبو طلال: لمّا كان عنّا قضية

على قولة الطيراوي ابن اليرموك «خطرة (مرة يعني) كنا قاعدين، ونازلين تنظير، هاد يقول بالنسبية، والثاني يقول بالفلسفة الوجودية، والثالث بالشيوعية وماركس، طبعاً الاغلبية بحكوا بماركس وماركسيتو، ومش عارفين الله وين حاططهم، بس «اللقوطة» من هون وهون منيحة، وبتكفي لحديث بسيط، ومش عميق، وبتجعل للرفيق حضور بمجالس ما يسمى بالمثقفين.
كنا يومها ولاد، كبرنا. اللي قرأ فينا قرأ، واللي تخرج وبلش شغل كب النضال والفكر التقدمي ورا ظهرو وخلص. بدو يعيش الرفيق ويجمع فلوس ويتزوج! وكل الأيام الماضية صفيت عندو مجرد شوية ذكريات، بيطبّق بنت من خلاله، كونو عندو تاريخ «نضالي» مغر. بيتأثر رفيقنا بمنظر الشهدا، بغزة وبلبنان، وقت حرب تموز، وبيتأثر أكتر بمعادلات السياسة لما ينحكى فيها قدامو من ناس بسطاء، لما يستعيد جلسات زمان، ويستعيد شو كان ينحكى من مصطلحات وفذلكات، ويبدا ينقر محاضرة برب هالمساكين الصادقين بخوفهم وحسرتهم على الناس.
دارت الأيام وولعت الدنيا بسورية، وقامت القيامة وبطلت عارفة تقعد! في اللي سماها ثورة، واللي سماها انتفاضة، واللي سماها مؤامرة.
بالمخيم كان عنّا من هالشباب كتير، وكلهم ولاد مكاتب التنظيمات الفلسطينية. كنا نقعد نشرب قهوة وشاي، ونحكي سياسة، ونطلع نمشي بـ«باب توما» و«باب شرقي»، ونمر ع «نينار» ونشربلنا كاسين بيرة. كانت هاي الممارسات (ضروريات المثقف الثوري) اللي عم ينتظر قيام الثورة للانخراط في صفوفها. ايه بس أي ثورة؟ وكيف بدها تقوم؟ ما حدا بيعرف، ولا حدا دخلو. زيادة ع هالشي، كنا عايشين مع بقايا مناضلين الثمانينيات من القرن الماضي، أيام ما كانت الثورة الفلسطينية بعزها. هدول المناضلين السابقين، صفيوا ولاد مكاتب، مضطرين يبقوا فيها لأنو بعد الإحباط، والهزائم المتكررة، ما صفيلهم راتب يعيشوا ويطعموا ولادهم، إلا راتب المكتب. وما عاد إلهم شي يعملوه أكثر من حديث يدور، وواحد يعيد سرد ذكرياتو، وبطولاتو يوم فجّر الدبابة الإسرائيلية. طبعاً، إلا من رحمه ربي، لأنو في منهم بيعرف الحقيقة، وبعرف إنو بطّل يقوم لتنظيمه قايمة وخلصت! ف بيجي ع المكتب عشان يمرّق وقت، وخالصة، والله غالب. وشوية إحساس من شب صغير قدامو إنو كان مناضل وإلو احترامو وبكون كتييييير منيح!
الحقيقة هدول مظلومين، بعرفش بالضبط مين ظلمهم، مين خلاهم هيك؟ هي قيادة فاشلة، ولا ثورة انتهت، ولا....
المخيم راح، بس قبل ما يروح المخيم، كانوا الكبار من اللي خاضوا المعارك زمان، بيحكوا «خلّي اليرموك يتحاصر كام يوم وبتخلص!».
إيش هي اللي بتخلص؟ الله وحدو بيعرف. بس الحس النرجسي اللي عند الفلسطيني، واللي توارثناه بدون ما نعرف ليه وكيف، هاد الحس بخليه ما يقبل إنو الفلسطيني الثائر أبو الثورة والثوار، يتحاصر، وكأنو سوبرمان.
اللي لحد اليوم ما صحينالو إحنا الفلسطينية، إنا بعدنا ما عملنا إشي كبير. أرضنا محتلة من 65 سنة، وثورتنا إلها، تقريباً 48 سنة، ولهلأ إيش إنجازنا الكبير عالأرض؟ ولا إشي! مش إحباط، ولا تقليل من شأن الشهداء اللي منرفع رأسنا فيهم كشعب فلسطيني، ولا تقليل من قيمة أسرانا، التاج على رؤوسنا، ولكن أرضنا ما زالت محتلة، وبعدو تقريباً نص الشعب مشرد ولاجئ. مش إحباط والله، بس يمكن صار لازم نخضع للنقد الذاتي بعد الهزائم.
أنا كفلسطيني يمكن بعرف ليه إحنا نرجسية، ومش شايفين حدا قدامنا، لأننا ناضلنا، وكنا مجانين بنضالنا، من كثر ما كنا جميلين، وثورتنا استقطبت مناضلين العالم لصفوفها، وكنا رومانسيين وحالمين، وحبابين، والفدائي الفلسطيني كان بيشبه أبطال الأساطير، وأبو عمار رمز، بس بعدنا عالأرض بلا ولا شي. يمكن نرجسيتنا لنعوّض هال «ولاشي».
كنا باليرموك، قبل ما يصير أطلال، نعمل على إنو فلسطين بكره، وكنا كمان نعتبر حق العودة بكره، و«فلسطين لازم ترجع لازم تعود/ ونحط الراية الحمراء على الحدود/ ونحط الراية السوداء عَ تل أبيب/ فلسطين لازم ترجع يا إم الكنزة/ ونحط الراية الخضرا على غزة»، هذا هتاف كان يزلزل المخيم في المظاهرات خلال الانتفاضة، اليوم أين الانتفاضة؟ اليوم نهتف «الشعب يريد العودة إلى اليرموك».
ومكاتب الفصائل ومن كان فيها، ليسوا فيها، خرجوا مع من خرج من المخيم، والشباب هاجروا وسافروا كل إلى سبيله، وحلمه الشخصي. وحلم فلسطين صار في غياهب النسيان، سنذكر به، كلما تذكرنا اليرموك، لنقول، ثمة مؤامرة حيكت على حق «عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هجروا منها عام 48».

أيهم السهلي